جماليات الأسلوب في الشعر الشعبي الجزائري

ديوان "بسمات من الصحراء" لـ "حسان درنون" أنموذجا.

The aesthetics of style in Algerian folk poetry

Collection "Smiles of the Desert" by "Hassan Darnoun" as a model.

د. شوقي زقادة *

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة. الجزائر.

chaoukizeggada1@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/02/27 تاريخ القبول 2023/04/29 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص: يمثل الشعر الشعبي مظهرا من مظاهر الثقافة الوطنية في الجزائر، و هو من أكثر الفنون الشعبية مقدرة على التعبير عن حاجات الفرد، وعلى ملامسة وجدان الجماعة، وتتمظهر من خلاله ملامح الهويّة المشتركة، وقد كان ولا يزال لسان العامّة وشاهد على التاريخ؛ ويمكن التأكد من أصالة هذا الشعر بعد تصفح دواوين شعرائه التي تميّز أصحابها على اختلاف الأغراض التي يعبّرون بها بالمحلية من جهة، وارتباطهم العميق بالتراث والتاريخ العربيين من جهة أخرى، ولا يخلو هذا الشعر من الجانب الفنّي والمتعة الجماليّة، ومن جمال التعبير ودقة التصوير، والشاعر حسان درنون . بلا شك . واحد من هؤلاء، وسنحاول في هذا المقال الكشف عن الملامح الأسلوبية والجمالية التي تميّزت بها قصائده في ديوان "بسمات الصحراء" من خلال تتبع البنيتين: التركيبية والدلالية.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب؛ حسان درنون؛ البنية التركيبية، البنية الدلالية.

* المؤلف المراسل

Abstract:
Folk poetry represents a manifestation of the national culture in Algeria, and it is one of the most popular arts capable of expressing the needs of the individual, touching the conscience of the group, and showing through it the features of the common identity, and it was and still is the tongue of the public and a witness to history ,The authenticity of this poetry can be confirmed after browsing the collections of his poets, whose authors were distinguished by the different purposes for which they express the locality on the one hand, and their deep connection to Arab heritage and history on the other, This poetry is not devoid of the artistic side, the aesthetic pleasure, the beauty of expression and the accuracy of embodiment, And the poet Hassan Darnoun is undoubtedly one of them, and in this article we will try to reveal the stylistic and aesthetic features that distinguished his poems in "Smells of the Desert" by tracing the two structures: synthetic and semantic.
key words: stylistics; Hassan Darnoun; structure synthetic; structure semantics.

مقدمة:

استطاعت الأسلوبية أن تشق طريقها وسط المناهج النقدية المعاصرة في مقاربتها للنص الأدبي، وقد قدّر لها بفضل جهود مجموعة من الدارسين أن تستقر منهجا يهدف إلى دارسة الخطاب الأدبي دارسة أدبية متوخيا الموضوعية والعلمية بعد أن حامت حولها كثير من الشكوك في شرعية وجودها، فغدت بذلك "طريقة تستكشف الخطاب الأدبي من خلال جسده اللغوي، ساعية بفضل طرائقها وأدواتها المذهلة إلى استخراج ما يكتنزه هذا الجسد من قيم جمالية وفنية"[1].

وبناء على ذلك فإن الأسلوبية تطمح إلى دراسة البنيات الأسلوبية المختلفة في الخطاب الأدبي "البنية التركيبية والدلالية..."، وغايتها في ذلك هو البحث عن العلاقات التي تربط هذه البنيات بغية الوصول إلى ما يتفرد به الخطاب الأدبي من حيث بنائه اللغوي وإدراك القيمة الفنية والأدبية التي تستتر وراء هذه البنيات.

وغدت الدراسات الأسلوبية التطبيقية رافدا مهما لاستكمال البحوث الأسلوبية في المجال النظري، لذلك اتجهت كثير من الدراسات الأسلوبية إلى الولوج إلى عوالم النصوص . بمختلف أنواعها . لسبر أغوارها، متجشمة الصعاب بهدف استكشاف السمات الأدبية للغة النص وفحص الوسائل التعبيرية والإيحائية التي يبتكرها الأديب، والتي ترتقي بمستوى الكلام وقدرته على النفاذ والتأثير، وممَّا لا شك فيه أنَّ ما يصل إليه الدارس الأسلوبي في مكاشفته لهذه النصوص الأدبية سيدعم البحوث الأسلوبية في شقها النظري.

وقد عبَّر قارئو الشعر عن تأثرهم وردود أفعالهم عند سماعهم أو ترديدهم لإحدى القصائد، لأنهم وجدوا فيها صدقا في المشاعر، وجمالا في المعاني، وسموا في الروح، لاسيما الشعر الشعبي منه والجزائري بوجه الخصوص في صوره المختلفة.

والشاعر حسّان درنون واحد من هؤلاء الشعراء الشعبيين الجزائريين المعروفين بإنتاجهم وأسلوبهم، فهو من الشخصيات النادرة التي شكّلت معايير عصرها وعقائدها، وهو يملك خطاباً ذا خصوصية تجعله يقف خارج التاريخ ولا الجغرافيا، أي خارج الزمان والمكان، شأنه في ذلك شأن كل خطاب إنساني.

1 . التعريف بصاحب الديوان:

ولد الشاعر الشعبي حسان درنون سنة 1966م ببلدية زريبة الوادي دائرة سيدي عقبة ولاية بسكرة.

بدأ في كتابة الشعر الشعبي سنة 1972 م، وله حوالي مئة قصيدة تلونت طبوعها بين الثورية، والدينية، والاجتماعية والغزلية، والفكاهية، والهجائية.

كانت لديه مشاركات في العديد من المهرجانات سواء كانت ولائية أو وطنية أو دولية، نذكر منها على سبيل المثال: مهرجان النخيل بسكرة، العكاظية الأولى والثانية للشعر الشعبي بأولاد جلال، المهرجانات الوطنية الأربعة المنظمة في ولاية سيدي بلعباس

خاصة بالشعر الشعبي والتراكيب الشعرية، المهرجان الدولي للشباب بموسكو –الاتحاد السوفياتي.

وله حضور في عدة حصص إذاعية منها: ألوان وفنون في الشعر الملحون وأضواء على الجنوب، وأخرى متلفزة: أضواء ثقافية.

كتبت عنه جريدة النصر، الوحدة، المجاهد، وبعض المجلات المحلية الأخرى [2].

2 . البنية التركيبية:

اهتم علماء البلاغة بالجملة من حيث طبيعة تركيبها وعلاقتها بالمبدع وأثرها في السامع، فخصصوا لذلك علما قائما بذاته هو علم المعاني الذي يهتم بـ "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره " [3].

ومما لا شك فيه أن في دراسة الجملة أهمية كبيرة، وفائدة عظيمة " إذ بها يتم التواصل والتفاهم، وليس هناك خطاب بما دون جملة "[4]، ولقد تعددت مفاهيمها بتعدد المعايير والضوابط المتحكمة في ذلك كالبساطة والتركيب، والاستقلال وعدمه والتفاهم والنقص، والترتيب وإعادته، والدلالة العامة للجملة.

تجدر بنا الإشارة إلى أن "الجملة في المدارس اللغوية المعاصرة تتكون من بنيتين، بنية دلالية وبنية نحوية [5]، حيث تعتمد دراسة البنية التركيبية على كيفية صياغة النموذج النحوي للجملة وعلى التغيرات (العدول) التي تطرأ عليها من تقديم وتأخير وحذف ... وهذا ما سنتطرق إليه في دراستنا للبنية التركيبية في نماذج مختارة من ديوان بسمات من الصحراء لحسان درنون.

لقد تنوعت جمل حسان درنون في ديوانه تنوعا حوله إلى لوحة فنية رائعة، حيث أدى إلى الإيحاء بدلالة خاصة، وعبر عن معانيه بنفسه، فلقد أراد شاعرنا إيصال رسالة دون

أن يرهق سامعه، ولا غرو في ذلك فالأدب الشعبي موجه إلى عامة الشعب لا الطبقة المتعلمة فحسب.

تنوعت الجمل المستعملة من قبل مبدعها في نصه بين الإسمية والفعلية فاتحدا في تكوين لحمة النص الشعري الشعبي، وإن كانت الجملة الاسمية على اعتبار أنها تبدأ باسم تقتضي الثبوت والاستمرار ، فما ورد منها في نص حسان درنون الكثير ، نورد بعض النماذج :(**نوفمبر هللت مرحبا بذكراك**)، (**الشعب اتحد و نهض لفداك**)، (**أبطالك وقرارهم دواك**)، (**صديقك الاوراس هو اللي سماك**)...[6] فدلت هذه الجمل الاسمية الواردة بقصيدة كلمة نوفمبر 1954 م على ثبات الشعب على نيل حريته و عزمه على الحصول على الاستقلال ،وأن نتيجة الثورة بإذن الرب هي النصر كما دلت على ثبات الصفات في الموصوف، فأبطال الثورة أصحاب قرار عزموا على استرجاع حريتهم وحرية شعبهم، واتحدوا لتحرير بلدهم، فكانت ثورته القبس الذي أشعل لهيب الحرية.

والنماذج الخاصة بالجملة الاسمية كثيرة، ساهمت في تكوين النص الشعبي دالة على ثبات القيم التي يدعو إليها الشاعر وعلى حبه لوطنه وأنه يتمتع بروح وطنية عالية.

أما إذا انتقلنا إلى الجمل الفعلية هي كذلك قد أخذت نصيبها من اهتمام الشاعر وتوظيفها لها في نصه، بحيث أوحت بالتجدد، ومما ورد منها نذكر: (**نحسب روحي محبوب و نملك قدر**)، (**لكن اللي بنيتوا طيحو الريح**)،(**كواوني كي الكلب بقنطرين من جمر**)، (**ردولي الخير و المعروف بالشر**)، (**ورجعوني كي الكلب اللي باغي نبيح**)... ، فدلت هذه الأفعال (**نحسب ، كواوني ، ردولي، رجعوني** ...) على تحول الأحباب إلى أعداء وهذا التحول لا يعكسه إلا الفعل الذي ينم عن التجدد والتحول وعدم الثبات .

وهكذا نلاحظ أن الشاعر زاوج في توظيف الجمل بنوعيها الفعلية والاسمية وكل منها خدم النص الشعبي الشعري وأسهم في تقوية دلالته وتقديمها للسامع مفهومة واضحة دون أن يتعب في البحث عن مغزاها.

ولقد قسّم البلاغيون الكلام إلى قسمين كبيرين هما الخبر والإنشاء «فإذا كان الخبر يمثل اللغة في جانبها القار، فإن الإنشاء يمثلها في جانبها المتحرك، فالأساليب الإنشائية طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، أم غير طلبية كالتعجب والمدح والذم ... أبرز مظاهر اللغة التي تعبر عن حيويتها"[7].

وديوان حسان درنون يمثل مدونة تراكيبها الموظفة ليست متشابهة في شيء وقد جاءت الجمل في نوعين:

الجمل الخبرية: لقد كان لهذا النوع من الجمل بصماته الجمالية في مؤلف حسان وله طبيعته الاستمرارية في تداعياتها، ودلالتها على ما يتحمل الصدق والكذب لذاته " [8]، ومن الجمل الخبرية المتينة الموظفة في النص نورد على سبيل المثال ما ورد منها في قصيدة التسول:

(لدنيا حالها عاد صعيب)، (التسول عاد ما هو عيب)، (عايلتي في الغربى راميها الحر والبر مع الأمطار)، (الجزائر تملك شركات ماليا الجيهات)، (ربي يشفع فيا وفيك حسان قايل ها لشعار) [9].

يخبرنا الشاعر بحقيقة وضع المتسول في بلادنا وأنه لا بد أن يفيق، فبلاده غنية بثرواتها وشركاتها، فليصحو لنفسه ويخدم وطنه ويؤمن لقمة عيشه ورزق أسرته، وألا يتكل على غيره.

أما عن الجمل المؤكدة، فما وظف الشاعر من توكيدات نذكر:

-التوكيد بقد حيث تفيد هذه الأخيرة " التحقيق أمام الماضي " [10] ومن أمثلة ذلك قول الشاعر [11]:

يا شباب اليوم قوموا ها هو قد آن الاوان

فالشاعر يؤكد للمتلقي أن يقوم لبناء وطنه وخدمته وتشييد بنيانه.

وتتحدد التوكيدات أيضا بتوظيف: إنّ" إذ الأصل فيها التوكيد [12] لقول الشاعر[13]:

يعرف أن الباقية ها ذيك الدار وحال الدنيا ماهو إلا قصير

فكانت صورتها الخطية في ديوان تتشكل من (أداة) + إسمها + خبرها

إن + الباقية + هاذيك الدار.

ومن التوكيدات الموظفة كذلك نجد التكرار؛ حيث وظفه الشاعر في قصيدة نظمها في ذكرى رأس السنة الهجرية [14]:

أول محرم راس السنة الهجرية اول محرم عيدك قد حان.

فهو يكرر ظرف الزمان أول محرم وذلك كدليل على فرحته به وعظمة هذه المناسبة، إذ تذكرنا بهجرة أشرف المرسلين، ويضيف أداة التوكيد قد ليؤكد على فرحته بهذا العيد ويشاركه المتلقي هو الآخر بها.

كما نجد من أساليب التوكيد القصر، فقلد كان حاضرا لدى حسان درنون في نصه وهو «تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص "[15].

والقصر بالنفي والاستثناء كثيرا في الأنموذج، حيث يقول الشاعر على سبيل المثال[16]:

يعرف أن الباقية هاذيك الدار وحال الدنيا ما هو إلا قصير

إذ نجد الشاعر استعمل أداة الاستثناء (إلا) ليجعل القصر محصورا على حال الدنيا، وهذه دعوة صريحة منه لصلاح الإنسان وعمله بما ينفعه يوم الآخرة.

وكذا من النماذج التي دلت على توظيف الشاعر لأسلوب القصر قول الشاعر[17]:

سرت نرفع الكاس يقرب لعمى ينابلي الضمير ماك إلا مهبول

فلقد حصر الضمير النداء بمهبول على الشاعر.

نستنتج أن الشاعر قد لجأ إلى عدة أنواع من التوكيد، وذلك ليؤكد عباراته ويتبين مقصودها ويبرز معناها.

أما الجمل المنفية فقبل حديثنا عنها يجدر بنا الإشارة إلى أن النفي أسلوب يتحدد وفق مناسبات القول فهو خلاف الثبات ويسمى الجحد [18]، وأدواته تحول معنى الجملة من الإثبات إلى السلب، وأكثر أدوات النفي استعمالا في المدونة نجد:

لا: وهي أقدم حروف النفي في العربية، تدل على الأسماء والأفعال [19]. فنجدها تدخل على الجملة الاسمية نافية كل الصفات الحسنة على المستدمر، كما هو واضح في قوله[20]:

لا حرمة له لا حق لا نور لا سبيل مسيطر عليه شر الاستعمار

ما: تنفي الجملة الاسمية، وتنفي الجملة الفعلية، وتخلص فعلها المضارع إلى الحال غالبا، وتخلص فعلها الماضي إلى الماضي الغريب، وفيها توكيد للنفي [21]، فهي تدخل على الجملة الاسمية والفعلية وما ورد بالنص دخولها على الجملة الفعلية قول الشاعر [22]:

ما تخللى مدينة قرية ودوار ما تفرق ما بين غاني وفقير

ما تخلل بعيد قريب وجار ما تفرق ما بين حر وأسير

يصدي الشاعر بنصائح لغيره، موظفا أداة النفي ما في التفريق بين الصفات الحميدة والذميمة، نافيا التفريق بين الناس فكلهم سواسية عند الله.

وقبل حديثنا عن الجمل الشرطية الموجودة بالديوان، نجد تعريف الشرط الذي هو "كل حكم معلوم يتعلق بأمر يقع بوقوعه، فيتحقق الأمر بتحقق أمر آخر[23]، فمعنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره أي أن يتوقف الثاني على الأول ويأخذ التركيب الشرطي الشكل المنطقي التالي:

الأداة + فعل الشرط + جواب الشرط

بتتبعنا لدراسة الديوان، نجد أن الجمل الشرطية موظفا فيه قليلة منها قول الشاعر في قصيدته المعنونة بوصفة مجانا [24]:

إذا حييت تزيد لعمرك مدة قل أعوذ برب الناس

فقد استعمل الشاعر أداة الشرط إذا وهي من أدوات الشرط الدالة على الاستقبال والتي تفيد ربط جملتين وجعل الأولى سببا لوقوع الثانية.

فإذا كان المخاطب يريد العيش بسلام و يطول عمره يستعين دائما بالله ويقول دائما أعوذ برب الناس فهي شرط استمراره طول عمره، ومن نماذج الجمل الشرطية الموظفة بالديوان أيضا قول الشاعر[25]:

إذا راسك يوزن كيلو ورطل و تقول عندي الدوخة في الراس

ونجد من أدوات الشرط كذلك لو وقد تأتي امتناعية ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط [26] ومن ذلك قول حسان درنون [27]:

واذا كنت ليا مخلصة و تحبيني البسمة ممنوع لو تكون لخوك

فهو يشترط على حبيبته أن تمتنع على البسمة ولو لأخيه إذا كانت مخلصة له وهذا ما أكدته عبارة (إذا كنت ليا مخلصة)، فشرط إخلاصها له امتناعها عن البسمة ولو في وجه أخيه.

وكذلك قول الشاعر في قصيدته تذكرة [28]:

لو تغفل دقيقة تعود هالك وما تلقى لا صديق ولا حبيب

فالشاعر يحذر الذي يحب من الغفلة، فإن غفل هلك، فإذا امتنع عن الغفلة امتنع عنه الهلاك، فامتناع هلاك المحب لامتناع الشرط وهو الغفلة.

وما يمكن قوله إن الشاعر حسان درنون قد نوع الصياغات الخبرية حيث أضاف إلى خطابه عنصر الطرافة والتحديد، فالتزام نمط واحد يؤدي إلى الرتابة التي تعمل على تشتيت ذهن المتلقي، أما هو بتنويعه جذب ذهن المتلقي واستثار حاسة السمع لديه.

وإذا كانت ضروب الكلام التي يعبر بها عن الأفكار والمشاعر وكل ضروب الحياة لا تتعدى أسلوبي الخبر والإنشاء، وإذا كان الخبر هو ما احتمل الصدق والكذب فإن "الإنشاء ما لم يحتمل الصدق والكذب" [29]، وليس له واقع يطابقه أو لا يطابقه فهو يهدف إلى إنشاء المعنى الذي يحرك مخيلة المتلقي.

ولقد وظّف الشاعر عدة جمل طلبية إنشائية غنية بدلالتها الفنية متنوعة من حيث أدواتها المستخدمة لخدمة دلالة النص الشعري، ومن بينها نجد النداء الاستفهام، والأمر، والنهي.

إن المتأمل في ديوان حسان درنون يلمح بروزا واضحا للأسلوب الطلبي حيث يشكل أسلوب النداء حضور قوي، خاصة وأنه يكثر النداء في نداء محبوبته والتسول إليها، ونداء الغافل لليقظة واللافت للانتباه أن أساليب النداء يكون المنادي فيها مذكورا وتكون يا أداة النداء حيث يقول حسان درنون في قصيدته التفرقة في صالح من؟ [30]:

يا لعديا وعلاش تجونا ياخي كنا قاع دوار

فهو ينادي "العديا "ويسألهم عن سبب مجيئهم، فهو ينادي ويسأل ليوضح أثر التفرقة السيء الذي يشتت المجامع ويذهب الود والمحبة فيتفرق أفراد البلد الواحد وهذا هو هدف "العديا."

كما نجد الشاعر ينادي محبوبته في قصيدة الزردة ليعبر لها عن حبه ويشكو لها ألم فراقه ويبرز أنها سبب سعادته قائلا [31]:

يا وردة يا نور عياني يا مذبلة الأعيان

يا فلة نابتة في جناني أنا بيك فرحان

فنلاحظ أن أداة النداء (يا) قد تكررت ثلاث مرات متتالية في البيت الواحد، وذلك لعظم شأن المنادي لدى الشاعر محبوبته فهي نور عينه.

يعد أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية التي كانت محل بحث النحاة والبلاغيين، ويأتي الأمر بمعناه الأصلي الذي يعني " طلبا محددا يوجه إلى المخاطب، ويراد منه أن يقوم بأمرها [32]، وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي الذي يكثر في الشعر، إذ نجد فيه الشاعر متسعا للتعبير.

يشكّل الأمر إحدى الملامح الأسلوبية في شعر حسان، ومثال ذلك قول الشاعر[33]:

اقرا يا محمد آيات الجبار تنزيل العزيز الحكيم الخبير

بشر بالرسالة في كل الاقطار ودل الاسلام كل كبير وصغير

فلقد جاء الأمر في هذين البيتين بصيغة الفعل (اقرأ، بشر، دل) فعبر بهم عن تكليف جبريل للرسول الكريم بقراءة القرآن وبتبشيره بالرسالة وتبليغه للإسلام في كل الأقطار.

ويعد الاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية يعني طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، وذلك باستعمال عدة أدوات مختلفة تتنوع بتنوع الغرض البلاغي ومن أمثلة أسلوب الاستفهام في نصه الشعبي ما عبرت عنه أداة الاستفهام كيف "وهي اسم يستفهم به عن حالة الشيء (كيف أنت؟) أي على أي حالة أنت؟" [34]، حيث يقول الشاعر[35]:

نوفمبر يا مرحبا كيف طليت علينا وشعاعك وراه كل البشاير

يشخص الشاعر نوفمبر فيسأله (كيف طلبت) عن طلته معبرا عن فرحته بقدومه فهو بشارة خير بالنسبة إليه ولشعبه.

ومن أدوات الاستفهام التي وظفها الشاعر كذلك نجد من الاستفهامية" يستفهم بها عن الشخص العاقل، نحو (من فعل هذا؟) "[36]، وهذا ما نجده واضحا في قصيدته التفرقة في صالح من؟ حيث يقول [37]:

التفرقة في صالح من؟ ولا غالط يا سي حسن

التفرقة في صالح من؟ والمفتن عندي وشيه

فالشاعر يتساءل عن التفرقة ماهي نتيجتها؟ من سوف ينتفع؟ فهي تصنع تمنع لحمة الشعب وتجعله كرة في يد العدو.

ويعد النهي من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تعني طلب الكف عن الفعل وله حرف واحد هو لا " هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاغلاء مع الالتزام [38] ومن نماذج تواجده بالديوان نجد ذلك في قول الشاعر[39] :

ما تخللى مدينة قرية ودوار ما تفرق ما بين غاني وفقير

ما تخللى بعيد قريب وجار ما تفرق ما بين حر وأسير

فالشاعر يخبر السامع بأن الملك جبريل ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفرقة بين الغني والفقير وما بين الحر والأسير.

وكذلك نجد الشاعر يوجه نصيحة للمتلقي فينهاه عن كثرة الكلام والتسرع قائلا [40]:

ما تكثر لكلام واليه تتسرع وفي القعدة اجلس مع خير أقرانك

وهكذا فقد نوع الشاعر في توظيفه للأساليب الإنشائية الطلبية، فمرة ينادي، ومرة يستفهم، ومرة أخرى يأمر كما نجده ينهى، وكل ذلك خدم دلالة النص وأوصل رسالة الشاعر، كما كشف عن الملامح الأسلوبية التي أكسبت مبدعها أسلوبا مميزا ونمطا في التأليف متفردا.

ومن مظاهر العدول في التركيب اللغوي التقديم والتأخير؛ حيث يحققان أغراض نفسية ودلالية، فهما " سبب مهم من أسباب جودة الشعر وحسنه، بما يتجه من تصرف واسع، وما يدل عليه من فوائد لا تتحقق بسواه في التعبير "[41]، ذلك أن بناء الجملة في اللغة العربية يخضع لنظام تركيبي معين إلا أنه ليس صارما، فثمة مرونة يقدمها النظام اللغوي لكي يتمكن الشعراء من استغلالها، ومن مظاهرها هذا العدول التركيبي:

. تقديم الفاعل على الفعل:

حيث قدم الشاعر الفاعل (قلبي) على الفعل (اتكوى)، والفاعل (الكبدة) على الفعل (ذابت)، وذلك للاهتمام بأمر المقدم وتبيين حالته التي آل إليها من جراء فراق الحبيبة، وهذا ما نجده واضحا في قوله [42]:

قلبي اتكوى بالنار والكبدة من داخل ذابت

وكذلك قوله ([43]):

بوعمامة ضرب في قلب اللئام وتشكى المستعمر من ذوك الطعنات

. تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل:

وهذا ما نجده واضحا في قوله[44]:

في مؤتمر تأسيسي اخترنا قادتنا واحسنا اختيار الطريق الصواب

فلقد قدمت شبه الجملة على الفعل والفاعل (اخترنا) والمفعول به (قادتنا) وذلك للاهتمام بأمر المقدم ولتخصيص حسن الاختيار في المؤتمر التأسيسي.

. تقديم الجار والمجرور على المبتدأ:

يقول الشاعر [45]:

في الدنيا هو مطلوبي ولغيرو روحي ما مالت

فلقد قدمت شبه الجملة (في الدنيا) على المبتدأ هو والخبر (مطلوبي)

. تقديم الظرف على المبتدأ والخبر:

وهذا ما نجده واضحا في قوله[46]:

في الماضي قلبك جفاني وتركني حيران

فلقد قدم ظرف الزمان جاء في صيغة جار ومجرور (في الماضي) على المبتدأ (قلبك) والخبر (جفاني) وذلك لتحديد زمن ترك الحبيبة لمحبوبه.

أما الحذف فله عدة أغراض فنية، تتيح للشاعر القدرة على الإيحاء والتكيف وبما أن هذه الأغراض تختلف من شاعر إلى آخر، كانت دلالات الحذف متنوعة تبعا لطبيعة النص الواردة فيه [47]، كما سيتضح في شواهد من شعر حسان درنون الشعبي:

مواطن الحذف	التقدير
-سمي بسم الله من الذل يشفيك -فرقتك شعلت نيراني -احرقتي قلبي قباله -تركتي دموعي سيالة -ما نفعتني كتيبة عندي حكاية -ما تنجح لا بو لا بن -نحسب روحي محبوب ونملك قدر -ردولي الخير والمعروف بالشر	-يا العربي سمي بسم الله من الذل يشفيك -يا وردة فرقتك شعلت نيراني -غزالة احرقتي قلبي قباله -تركتي يا غزالة دموعي سيالة - أنا ما نفعتني كتيبة عندي حكاية -التفرقة ما تنجح لا بو لا بن -أنا نحسب روحي محبوب ونملك قدر. -ردولي حبابي الخير والمعروف بالشر

لقد طرق الشاعر الشعبي حسان درنون أكثر الأيقونات الأسلوبية التركيبية ليصوغ وفقها خطابه، واستعماله هذه الأساليب المتنوعة قد برهن على تحكمه في لغة الخطابة، فلقد تنوع في استعمال الإنزياحات التركيبية على مستوى ترتيب عناصر الجملة، وذلك ما يدل على رغبة الشاعر في استكناه أعمق الدلالات على مستوى التركيب والانزياح.

3 . البنية الدلالية:

يبدأ الشاعر في تكوينه نصه من أصوات تخضع لنظام معين ثم إلى مفردات ثم تتكون التراكيب التي تتم النص والبنية وكل هذه المستويات الخاصة باللغة الصوتية والصرفية والتركيبية، جاءت لخدمة غرض وحيد وإيضاح المعنى وإبراز دلالة النص.

ولذلك يمكن النظر في شعر حسان الشعبي اعتمادا على مبدأ الحقول الدلالية ذلك أن "المفردات التي تشيع في قطيعة أدبية ما تكون فيما بينها أنواع من العلاقات التي لا تتوقف قيمتها على وظيفة كل كلمة مفردة في جملتها، وإحدى هذه العلاقات هي ما يسمى الحقول الدلالية [48]"

ويتوسل حسان التعبير عن تجربته الإبداعية من خلال عدة حقول، وهذه الأخيرة ستساعدنا على الكشف عن أهم الدلالات الشائعة لديه:

الحقول الدلالية	الألفاظ
حقل الألفاظ الدالة على الحب:	محبوبي ياوردة، نور عياني، حبيبي، حبك، نحبك، ياحبيبي، غزالة، ياعيني، روحي، تكوني جنبي، حلالي، حبيتك، تهواني، تكوني قريبة، حبيت، صديق، حبيب، زواج، باغيك دقي قلبي، عجبني، منخونك، المكتوب، راكي هبلتيني، تحبيني، نترجي، خليلة، حبيني مخلصة، عروسة، ساكنة قلبي، ما ننساك، الوفاء...
حقل الألفاظ الدالة على العداوة والغدر	الضر، نتباكى، ضاق، جريح كواوني، جمر، نطيح، المر، ويح الشر، الكلب، الشتم، نتحرق، تقتل، طعنة بالسكين، المعتدين، حكم الاعدام، الخاين، يبكيك، تكويك...

حقل الألفاظ الدالة على الثورة	الأبطال، المعركة، البارود، تقويك، تتخذ القرار، ثائر، بطل، بلاد الثوار، تفديك، احرار ...
حقل الألفاظ الدالة على العلم	طلبة، الطالب، الإطار، العامل، معلم، مجلات، النور، العلم، دراسة، اجتهاد تكوين، تأطير، رياضة، موسيقى، فنان، معلم، مهندس، أستاذ، التعليم ...
حقل الألفاظ الدالة على الحزن	فرقتك، دموعي، تركني، نساني، مريض، مشيان، خابت، تتعذب...

ومن خلال دراستنا لشعر حسان درنون في هذا السياق لتصنيف المادة العلمية المعجمية في المدونة حيث نجد:

أ . معجم الألفاظ الدالة على الدين: ويتمثل في الألفاظ التي دلت على دين الشاعر وعبّرت عن إسلامه وإيمانه واقتدائه بسنة نبيه الحبيب: "**الاستغفار، شافيعنا، الآخرة، نعمة، الاسلام، الغفار، ليلة مقدسة، جبريل، الغر، النبي، البشير، رسوله، النبي المختار، الآيات، محمد، آيات الجبار، العزيز، الحكيم، الخبير، الرسالة، الرحمة، النذير... "**

يذكّر الشاعر المتلقي بنعمة الإسلام ونعم العزيز الغفار، وبرسالة الحبيب المصطفى وينصحهم بالاتعاظ وأخذ العبرة.

ب . معجم الألفاظ الدالة على الزمن: تواترت المفردات الدالة على الزمان، فضم هذا المعجم عدة ألفاظ نحو: "**الماضي، في الأيام، سبتمبر، سبع سنين ونصف، بالأمس، نوفمبر، اليوم، ذكرى الثلاثين ...**"

ج . معجم الألفاظ الدالة على بيئة الشاعر (مجتمعه): باعتبار أن الأديب ابن بيئته، وأن أدبه لا ينفصل على بيئته فلقد وظّف الشاعر عدة ألفاظ عكست لنا بيئة

وصورت لنا مظاهر التعامل في مجتمعه ومنها: **"الدنيا، كبير، صغير، غاني، فقير، حر، اسير، معزور، الابشع، الفتنة، المواسم، الأعياد، الحشمة..."**

وتعد الصورة من أهم مقومات الشعر فالقصيدة تتحدد شاعريتها بها، كما تثبت براعة الشاعر، والصورة مصطلح عام يتضمن التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والإيحاء والرمز، وكل ما من شأنه أن يؤثر في المتلقي ويرسم لديه لوحة فنية يتذوّقها بذوقه، ذلك أن الصورة تشكل عدول عن الحياة الواقعية.

وسيكون اهتمامي منصبا في دراسة الصورة الشعرية عند حسان درنون على التشبيه والاستعارة، وذلك على النحو التالي:

أ . التشبيه: يعد من أكثر الأساليب دلالة على قدرة التبليغ وأصالته في فن القول، ويعرفه أبو هلال العسكري بقوله: " التشبيه وصف بأحد الموصوفين ينوب مناب أو لم ينب، وقد حاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه" [(49)].

وقد ورد في ديوان مرات عديدة منها قول الشاعر [(50)]:

ردولي الخير والمعروف بالشر ورجعوني كي الكلب اللي باغي نبيح

فلقد شبه الشاعر حالته بعد غدر أصحابه بالكلب الذي لا فائدة من نباحه، فالغدر أصبح صفة ثابتة فيهم ولا يجدي كلامه حيث ذكر المشبه (نون المتكلم) وأداة الشبه كي (مثل) والمشبه به (الكلب) ووجه الشبه (باغي نبيح) وهذا ما زاد المعنى رفعة وقرب الدلالة.

كما ورد التشبيه في قوله[(51)]:

والشتم نازل عني كي المطر والقعدة معاهم يلزمها تصريح

فلقد شبه الشاعر الشتم بالمطر في نزوله عليه، وهذا ما يعكس كثرته حيث ذكر المشبه (الشتم) وأداة التشبيه (كي) والمشبه به (المطر) ووجه الشبه(نازل) هو تشبيه تام أسهم في إلباس المعنوي ثوب المحسوس وزاد من تقوية المعنى.

كما يقول [52]:

والقلب اللي زي اللبن يرجع حقود و غيار

لقد شبه الشاعر القلب (المشبه) باللبن (المشبه به) فذكر الأداة (اللي زي) أي مثل وحذف المشبه به (الصفاء) وذلك لتبيين الدلالة والتي هي تعكس تحول صفاء القلب إلى حقد و غيرة، فالصفاء أصبح دكر وهو تشبيه مجمل .

كما نجد التشبيه البليغ حاضرا في قوله [53]:

كنتلي قمرة ضوايا وكنت أنايا فنار

فلقد شبه حبيبته بالقمرة الضوايا وشبه نفسه بالفنار، فلم يذكر لا أداة التشبيه ولا وجه الشبه، وذلك لاقتراب المشبه من المشبه به، ولقد أسهم ذلك في تقوية المعنى وتجميل الصورة وإثراء النص الشعري بالدلالات.

ب . الاستعارة: وهي "مجاز لغوي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة...وقد تقيد بالتحقيقية، لتحقق معناها حسا أو عقلا [54]"، ذلك أن الاستعارة تعد نوعا من التغيير الدلالي قائم على المشابهة، ولقد استعان الشاعر بالاستعارة، فوظفها كلما دعت إليها الحاجة، وحيث يقول [55]:

يا قلبي اصبر يزيك يكفي راهي الكبدة ذابت

لقد شبه الشاعر الكبدة بالسائل الذي يذوب، وحذف المشبه به (السائل) وترك صفة من صفاته الذوبان.

وكذلك يقول [56]:

نوصيك يالي تحب انظر قدامك وناس قبلك ذابت بالنار

فالشاعر يشبه الناس التي اكتوت بنار الحب بالسائل الذي يذوب، فذكر المشبه (ناس) وحذف المشبه به (السائل)، وترك صفة من صفاته (ذابت).

كما يقول [57]:

شرّبت الاستعمار كاس اللي سقاك ودفعت الشهداء من اعز الأكباد

فلقد شبه الثورة بالإنسان الذي يقدم شرابا فذكر المشبه به الكأس وحذف المشبه (الإنسان) وترك صفة من صفاته (شربت).

فهذه الاستعارات وغيرها جعلت المعنى أكثر ثراء، وأشد دلالة.

وأخيرا ما يمكن قوله:

1- أثبت الشاعر الشعبي حسان درنون من خلال ديوانه "بسمات الصحراء" بأنه يتمتع بموهبة شعرية فريدة من نوعها، وبأنه مهتم بقضايا شعبه الوطنية والاجتماعية والدينية، وحتى الفكاهية كانت من ضمن اهتماماته.

2-ضف إلى ذلك أن الشاعر حسان يعدّ من المهتمين بالأدب الشعبي باعتباره مرآة عاكسة للهوية الجزائرية، كما أنه يرصد تاريخنا ويحفظ عادتنا وتقاليدنا من خلال دراستنا للبنية التركيبية للديوان نجد أن الشاعر قد نوع في الجمل التي استعملها بين الخبر والإنشاء، فجاءت أساليبه خادمة لنصه الشعبي الذي لا يختلف عن الفصيح بالكثير في نسجه وبنائه، كما برزت بعض الملامح الأسلوبية التي ميزت أسلوب الشاعر كالحذف والتقديم والتأخير.

3-نوّع الشاعر في المعاجم الشعرية التي استقى منها مادته الشعرية (المعجم الديني، الاجتماعي ...)، ونوّع من الحقول الدلالية التي كوّن منها نصه مما كشف عن ثراء لغتة الشعرية، كما أثرى نصه بالعديد من الصور البيانية التي زادت النص دلالة وروعة وجعلت منه باقة متنوعة لا بل لوحة فنية ساحرة.

4-إن النص الشعبي الجزائري لحسان درنون ثري وله أبعاد جمالية وأسلوبية متعددة تسمح له أن يكون نصا ممتدا مكانا وزمانا.

الهوامش والمراجع:

([1])أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، 1998، ص18.

([2]) حسان درنون: بسمات من الصحراء، دار البعث المنطقة الصناعية، قسنطينة – الجزائر، د ت، ص 193.

([3])انقلا عن: خطيب القزويني: الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2004، ص 71،.

([4])أحمد شامي: في اللة ، دار البلاغ للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1، 2002، ص 32.

([5]) صلاح الدين حسنين: الروابط بين الجمل في النص الشعري، مجلة علاقات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج 10 ، ج 39، مارس 2001، ص 42.

([6])حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص 13-14.

([7])راشد بن محمد بن هاشل الحسيني: البني الأسلوبية في النص الشعري، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004، ص214.

([8])السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 39.

([9])حسان درنون: بسمات من الصحراء، ص 127 و ما بعدها .

([10])نصر الدين تواتي: مفتاح التراكيب اللغوية، دار الأمة للطباعة والنشر التوزيع، الجزائر ،دط،1994، ص47.

([11]) حسان درنون: بسمات من الصحراء، ص 24 .

([12])ينظر: صالح فاضل السامرائي: معاني النحو، شركة العاتك للطباعة، القاهرة، ط2، 2003، ج2،ص 261.

([13])حسان درنون: بسمات من الصحراء، ص 92.

([14]) المصدر نفسه، ص 101 .

([15]) علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ص 320 .

([16]) حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص 92 .

([17]) المصدر نفسه، ص 109.

([18]) محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الرسالة، بيروت، لبنان، د ط، مادة (النفي)، ص 227 .

([19]) فاضل صالح السامرائي: معاني النحو ، ج2 ، ص 175 .

([20]) حسان درنون: بسمات من الصحراء، ص 43 .

([21])ينظر: فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو، ج2 ،ص 163-164.

([22]) حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص 92 .

([23]) عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ، 1987، ج2، ص 159.

([24]) حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص 99.

([25]) المصدر نفسه، ص 99.

([26]) فاضل صالح السامرائي: معاني النحو ،ج2،ص76.

([27]) حسان درنون: بسمات من الصحراء، ص164.

([28]) المصدر نفسه، ص 149.

([29]) بلقاسم دكدوك: شعر أبي مدين الغوث التلمساني –دراسة أسلوبية، دار قانة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2012، ص 107 .

([30]) حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص 112.

([31]) المصدر نفسه، ص 140.

([32]) أماني سليمان داود: الأسلوبية والصرفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن، ص 135.

([33]) حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص 91-92.

([34]) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار ابن الجوزي، القاهرة ،2010، ص 110.

([35]) حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص77.

([36]) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ص 108.

([37]) حسان درنون: بسمات من صحراء، ص 111.

([38]) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 60.

([39]) حسان درنون: بسمات من الصحراء ، ص 92 .

([40]) المصدر نفسه ،ص 115.

([41]) فهد سالم خليل الراشد: الظواهر النحوية في شعر الفرزدق، دار الجائزة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص150.

([42]) حسان درنون: بسمات من الصحراء، ص 137.

([43]) المصدر نفسه، ص 67.

([44]) المصدر نفسه، ص 17.

([45]) المصدر نفسه، ص137.

([46]) المصدر نفسه، ص 140.

([47]) فهد سالم خليل الراشد: الظواهر النحوية في شعر الفرزدق، ص 173 .

([48]) شكري عياد: مدخل إلى علم الأسلوب ،مكتبة الجيزة العامة، ط2، 1992، ص 121.

([49]) أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العالمية، لبنان، ط2، 1989، ص 239 .

([50]) حسان درنون بسمات من الصحراء، ص 183.

([51]) المصدر نفسه، ص 184.

([52]) المصدر نفسه، ص 111.

([53]) المصدر نفسه، ص146.

([54]) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية؛ علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 143 .

([55]) حسان درنون: بسمات من الصحراء، ص 138 .

([56]) المصدر نفسه، ص 150.

([57]) المصدر نفسه، ص 14 .